الى الاوضاع التي يشعر فيها الناس الضعفاء والعاديون عادة بأنهم يستطيعون تحمل ترف اطلاق العنان كاملا لضمائرهم .

ولذا بمعنى من المعاني ، فان لحظة الذروة للاعتراف السياسي والعسكري التي يبدو أن الفلسطينيين حققوها ، القصة المتكشفة والموضحة تدريجيا لما حدث فعلا في فلسطين خلال نصف القرن الماضي ، تتيح فرصة أمام الضمير ليناشد الضمير ، فرصة ليدرك اليهود ان ضمائرهم خنقتها الدعاوة الصهيونية الشريرة والساخرة جدا ، وفرصة ليظهر الفلسطينيون ، كما لاحظ كامو ، انهم لا « يستحقون كل ذلك الظلم » . وبتعبير آخر ، يعني هذا ان النضال الذي ما يزال يكمن في المقبل من الايام يجب ان يخاض في النفوس البشرية لجميع الفرقاء المعنيين بقدر ما دار النضال ، في الماضي ، في ساحات القتال . ويستدعي ذلك ايصال أهدافهم الى بقية العالم على نحو أفضل مما حاول « العرب » ، بمن فيهم الفلسطينيون ، جديا حتى الان ، وبالنسبة لليهود فانه يدعو الى فتح آذانهم لغير أصوات المزماريين الصهاينة الذين عزفوا أعلى الالحان لاعوام عديدة .

في مناسبتين أخيرتين أطل فيهما ياسر عرفات على الجماهير الغربية ، أعطى الدليل على بداية تحقيق الجزء العربي من هذه الصيغة . ففي مقابلة نشرت في صحيفة **نيويورك تايمز** ، في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ ، نسب اليه قوله انه دعا الولايات المتحدة الى انهاء « دعمها الاقتصادي ، الدبلوماسي والسياسي » غير المميز « للاطماع التوسعية والعدوانية » للصهيونية . وأضاف ان هذا يمكن ان يحدث عن طريق « ضغط متواصل يمارسه المواطنون الاميركيون الصادقون والشرفاء ، كما حدث مع الحرب في الفيتنام » .

وفي مقابلة متلفزة على شبكة ايبي‌سي في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ، كرر زعيم منظمة التحرير الفلسطينية الفكرة ، مضيفا الامل بأن يمارس أمثال هؤلاء الاميركيين « ضغطا » على واشنطن عندما يفهمون كيف ان دولارات الضرائب أعانت سياسات العسكرية الصهيونية هذه . وأنا أوافق على وصفة السيد عرفات . ولكني أضيف التوضيح بأن على « العرب » أن يتحملوا مسؤولية اكبر بكثير مما اضطلعوا بها حتى الان لينقلوا الى ٢١٠ ملايين اميركي « صادق وشريف » الحقائق ، الحق كما يرى العرب الحق ، والفرص لسلام لائق ، عادل وشريف . فتلك هي عناصر افعال الضمير ، وكما قال عرفات ، فان أمثال تلك الضمائر الموقظة ، الموجهة على نحو مسؤول الى افعال ضغط سياسي ، كانت هي التي عدلت السياسة الاميركية في الفيتنام .

لقد أمضيت نصف حياتي البالغة — وحدي تماما في كثير من الاحيان — في مخاطبة أبناء وطني ، بمن فيهم أبناء طائفتي ، محاولا اطلاعهم على « الجانب الآخر » من المأساة الفلسطينية . وبالنظر الى مواردنا — مقابل موارد قوى الصهيونية — لم نكن انا وحفنة من الآخرين (يهودا ومسيحيين) بلا قدر من النجاح . اننا نعلم ، بكلام آخر ، انه عندما تصل الحقائق الى وعي الشعب الاميركي ، فان ضمائر « الصادقين والشرفاء » تستجيب . وقد شملت الاستجابة ، وستشمل ، اليهود .

وكما ينبغي علينا جميعا في ظل وعينا المختلف ان نتقاسم ضميرا مشتركا للحق